

البيضاء (1)، ناحية (قضاء) ومدينة تاريخية في فارس.

تر. أ. دلال عباس

1) **ناحية البيضاء.** في محافظة سبيدان [البيض]، في الشمال الغربي من إقليم فارس، في منطقة باردة، في سهل خصب وتضم أقضية: البيضاء، وبانش وكوشك هزار. يحدها من الشمال ناحية كامفيروز (في محافظة مرودشت)، ومن الشرق محافظة مرودشت، ومن الجنوب محافظة شيراز، ومن الغرب الناحية المركزية (محافظة سبيدان). من جبالها المهمة: غر، ومور، وشش بير [الشيخة ستة]، ونسا (من سلسلة جبال زاغروس)، ويقع مضيق غوره دان (قره دان) في السفح الشمالي من جبل غوره دان (على بعد حوالي 26 كم إلى الجنوب الشرقي من أردكان). يروي أراضيها نهر أردكان الفصلي، ونهر شش بير. يجري نهر كُر في الجهة الشمالية الشرقية منها. في هذه الناحية عدّة سلاسل قنوات ووفرة من الينابيع، من بينها جَوَرَك، وتشله غاه بزرك [الكبير]، وتشله غاه كوتشك [الصغير]، وأنجيرك، وهفت خوان (بمحاذة قرية هفت خوان). تقع قراها بشكل رئيسي في السهل. من نباتاتها: أشجار البلوط، والبطم، واللوز الجبلي، والثمار، وأصابع العروس، ولسان الثور؛ ومن الحيوانات الماعز الجبلي، والوعول، والنعاج، والغزلان، والذئاب، والخنازير البرية، والثعالب والأرانب، ومن الطيور: الحجل، والدرّاج. محاصيلها المهمة: القمح، والشعير، والبقول، والعنب، والتفاح، والخضروات. من الشائع فيها تربية الحيوانات (الحملان، والأبقار، والجمال)، والنحل. ومن صنائعها اليدوية حياكة البُسط القطنية، وصناعة السجاد. تُصدر بُسطُها المزخرفة بالرسوم سالاري [الأميرية] والمحمدية. تستوطنها عشيرة كرمي من عشائر القبيلة القشقائية، كما تقيم فيها بطونٌ من العشيرة اللُّرية ممسني. البلدات المهمة في ناحية البيضاء: هرابال (مركز قضاء البيضاء) على بعد 54 كم إلى الجنوب الشرقي من أردكان، فيها مزاران هما مزار ناصر بن عمّار ومزار إمامزاده (سليل الإمامية) إبراهيم (إيران). وزارة الدفاع. المديرية الجغرافية للجيش، مج 92، ص 438؛ بانش (مركز قضاء بانش)، كوشك هزار (مركز قضاء كوشك هزار)؛ وثلّ البيضاء (— تتمة المقالة) على بعد 63 كم إلى الجنوب الشرقي من أردكان (رمز آرا، مج 7، ص 51-52).

وفيها الكثير من الآثار القديمة (كيهان، ص 226). بلدات قضاء البيضاء المهمة هي: قرية مَلِيان (على بعد 64 كم إلى الجنوب الشرقي من أردكان)، فيها آثار لبعض قلاع قديمة، وتلة قديمة ومزار باسم السيد أحمد شاه (إيران. وزارة الدفاع. المدرسة الجغرافية للجيش، مج 92، ص 404)؛ قرية شيخ عبود وفيها مزار باسم الشيخ شهاب الدين، وموقع باسم الشاه غيب (م.ن، مج 103، ص 102)، وقرية "زياد آباد" (حوالى 59 كم إلى الجنوب الشرقي من أردكان)، التي عدّها البعض "قلعة زياد" نفسها (← تتمة المقالة) (الفسائي، ص 181-182).

هناك رجالٌ عظماء أصلهم من البيضاء، من بينهم سيبويه* العالمة النحوية (المتوفى سنة 194هـ)، والحسين بن منصور الحلاج* (المتوفى سنة 307هـ) المتصوّف المشهور، وعبد الله بن عمر البيضاوي* (المتوفى سنة 696هـ) مفسّر القرآن.



المؤسسة الطوبوغرافية.

الموقع الجغرافي لمدينة البيضاء التاريخية

2) **مدينة البيضاء التاريخية**. إحدى مدن إيران التاريخية القديمة، تقع في ناحية البيضاء في المنطقة الباردة من فارس (الإصطخري، ص 143)، ولا تزال أطلالها ماثلةً بالقرب من بلدة مَلِيان (فرصت الشيرازي، ص 336). يقول ياقوت الحموي نقلًا عن حمزة الإصفهاني: اسم البيضاء معرّب "در إسفيد" [احتمالاً دج سپید=القلعة البيضاء] (مج 1، ص 791). كان اسمها الفارسي نَسا، نسایک/نساتک/نشانک (الإصطخري، ص 126؛ ابن حوقل، ص 281). يُنسب بناء مدينة البيضاء إلى غشتاسب، ابن لهراسب الكياني (حمد الله المستوفي، ص 147). في العصر الساساني، كما ذكر الطبرى (مج 2، ص 38)، حين بلغ أردشير السابعة من عمره، اصطحبه أبوه إلى نَسا (البيضاء) لدى جُوزِهْر (أو جُزِهْر/كوزِهْر) شاه. حين كَبُرَ أردشير نصح أبيه أن يتمرّد على جوزهْر الذي كانت البيضاء [نسا] مقرّ عرشه. فعل الأب ذلك؛ قَتَلَ جوزهْر واستولى على العرش (أيضاً—نولدكه، ص

(43-42). كانت نسائك أيضاً، مقرّ عرش رام بهشت، زوجة ساسان وابنة ملك سلالة بازرنغي (هوار، ص 123). في السنة 17هـ أرسل عمر بن الخطاب (رض) عثمان بن أبي العاص لفتح كورة إصطخر، لكنّ والي إصطخر وافق على دفع الجزية، وجنّب أهالي البيضاء خوض غمار الحرب (الفسائيّ، مج 1، ص 173-175). في العام 28هـ، هاجم عامر بن كريز ديار بارز وقلاع فارس-التي كانت خاضعة لأهالي البيضاء-، وفتحها (ابن سعد، مج 5، ص 45-46). في العام 39هـ، في أثناء خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، امتنع أهالي فارس عن تأدية الخراج لسهيل بن حنيف. فأرسل الإمام عليه السلام إليهم زياداً بن أبيه، فعاملهم بالحسنى وجعل مدينة إصطخر مقرّ حكمه، وشيد بين البيضاء وإصطخر قلعة، سُميّت "قلعة زياد"، وحمل إليها الأموال (الطبرىّ، مج 5، ص 137-138). في العام 129هـ، كانت البيضاء ساحة المعركة التي جرت بين عامر بن ضباره مبعوث الخليفة الأمويّ مروان الثاني، وبين عبد الله بن معاوية (م.ن، مج 7، ص 352). حسب جغرافيّ القرن الثالث الهجريّ البيضاء من مدن كورة إصطخر؛ وذكروا أنّ المسافة بينها وبين شيراز ستة فراسخ (ابن الفقيه، ص 202-203) أو سبعة فراسخ (ابن خردابه، ص 46-47). في هذه المرحلة نفسها (261هـ)، أقيم سرادق السلطان يعقوب بن الليث في البيضاء، التي كان فيها مرجٌ واسع (الفسائيّ، مج 1، ص 210)، وجرت معركة بينه وبين محمد بن واصل في ناحية مروسان (مروستان أو مروست/مرودشت)، من نواحي البيضاء (الإصطخرىّ، ص 143). في القرن الرابع الهجريّ كانت البيضاء تُعدّ من أكبر مدن كورة إصطخر، تضمّ قلعةً وسوراً وبرجًا ورباطًا. كانت مبنيّها من الطين، وعماراتها متقدّة، ومناخها رطب و[المدينة نفسها] كانت وافرة الخيرات، تصدرّ غالّتها إلى شيراز (م.ن، ص 126-127؛ ابن حوقل، ص 266، 272، 281).

في أواخر القرن نفسه، حسبها المقدسيّ من ضمن مدن شيراز، مضيفاً: إنّ نسا التي تُسمّى أيضًا البيضاء، مدينةٌ نظيفة، جميلة، حسنة المناخ، وفيها مسجدٌ جامع ومزار (ص 423-424، 432). في العام 415هـ جرت معركة حامية الوطيس بين قوام الدولة الديلميّ (المتوفى سنة 419هـ) المشهور بقام الدولة أبي الفوارس وبين

أخيه سلطان الدولة الديلمي (المتوفى سنة 415هـ)، بين مدينة البيضاء ومدينة إصطخر، أسرفت عن هزيمة أبي الفوارس (ابن الأثير، مج 7، ص 318). في العام 442هـ، توجه طغرل بيك على رأس جيشه إلى [ناحية] البيضاء، ونهب قراها، وعاد منها بالغنائم الكثيرة (م.ن، مج 8، ص 54، 62). في العام 447هـ، توجه فولاد، القائد الديلمي الذي كان قد احتل قلعة إصطخر، إلى شيراز، وألغى الخطبة باسم طغرل بيك، وقرأها باسم أبي سعد، أخي طغرل بيك. رأى أبو سعد في ذلك خديعة، وحاصر شيراز، التي مات عدد كبير من أهلها جوعاً. لجأ فولاد إلى ضواحي البيضاء وقلعة إصطخر، لكنَّ جيشَ أبي سعد احتلَّها أيضًا (م.ن، مج 8، ص 69). في أوائل القرن السادس الهجري، كانت البيضاء مدينة صغيرة، إنما جميلة، فيها مرجٌ مساحتُه عشرة فراسخ بعشرة فراسخ، ونواحٍ عديدة، ومسجد جامع ومنبر، وكانت عامرةً (ابن البلخي، ص 28-129) وظلت لقلعة البضاء أهميتها، ففي العام 533هـ حين استولى الأمير قراسنقر على مدن فارس، توجه الآتابك قراسنقر لمحاربة الأمير بوزبه [= بوزآبه]، فلجاً هذا الأخير خوفاً إلى قلعة البيضاء (ابن الأثير، مج 8، ص 365). في عصر الآتابك أبي بكر (المتوفى سنة 607هـ) بُنيَ في البيضاء رباط باسم المظفرى، ورباط الشيخ جمال الدين حسين الذكي (زركوب الشيرازي، ص 60). في القرن السابع الهجري، كانت قلعة البيضاء موجودةً وكان يطلق عليها اسم "قلعة سپید [القلعة البيضاء]", فحين توفيَ الآتابك سعد زنغي في البيضاء [في العام 622هـ]، أرسل وزيرُه الخواجة غيث الدين اليزدي خاتمه إلى "القلعة البيضاء" (رشيد الدين فضل الله، مج 1، ص 659). كان ينمو في البيضاء كما نقلوا، عن كل حبة من حباته عشرة مثاقيل، وتقاوم محيط كل واحدة منه وجban. كان فيها كذلك حيّات وعقارب وغيرها من الحشرات والهوام المؤذية (القزويني، ص 110). في أوائل القرن الثامن الهجري، كررَ حمد الله المستوفي ما كان قد كتبه ابن البلخي عن مدينة البيضاء، لكنَّه لم يُشير إلى مسجدها الجامع ومنبرها؛ لأنَّه كما يبدو لم يعد له أيُّ أثر بعد الاجتياح المغولي، بسبب المعارك المتتالية. في العصر التيموري، كان سهل البيضاء كذلك ساحة الحرب بين النساء، ففي العام 818هـ، جرت معركة فيه بين الأمير إبراهيم سلطان، والأمير بايقرا (الفسائي، مج 1، ص 335).

منذ العصر الزندي وما تلاه، ورد في المصادر اسم تل البيضاء، الذي يبدو أنه الموضع القديم لمدينة البيضاء، وكان المكان الذي تعبّر عنه الجيوش الزندية والقاجارية، وتتوقف فيه. ربما كانت ناحية البيضاء في ذلك الحين جيدة الأوضاع زراعياً، ففي أثناء هجوم الآغا محمد خان القاجاري على فارس أواخر عصر لطفعلي خان الزندي (حك: 1209-1203هـ/1789-1795م)، كانت مؤن جيش لطفعلي خان مصدرها ناحية البيضاء (شهابوري الشيرازي، ص 72، 93). في العام 1311هـ/1893م كان طول ناحية البيضاء من بوزنجان (حوالى ثلثين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من أردكان) حتى كوشك (على بعد 21 كم إلى الشمال الشرقي من زرقلان) ثمانية فراسخ، وعرضها من قرية تنغ خياره (على بعد 73 كم إلى الجنوب الشرقي من أردكان) أكثر من ثلاثة فراسخ. كان يحدها من الشمال رامجرد وكامفiroز، ومن الغرب أردكان، ومن الجنوب ضاحية شيراز، وكانت مساحة مرجها "قرق البيضاء" ثلاثة فراسخ بفرسخ واحد، وكانت مرعى الخيول الملكية، وموضع منصات مدفعية شيراز. كان اسم قصبة [=مركز] ناحية البيضاء في ذلك العصر، "تل البيضاء" (الفسائي، مج 2، ص 1270). كانت مدينة مليون (تقع قرية مليان الحالية بجانب أطلالها) المركز القديم لناحية البيضاء، ففي هذا المكان تُشاهد آثار كثيرة من العمارات الكبيرة المدمرة، وفي مواضع منه آثار برج القلعة القديم (م.ن، ص.ن)، مما يثبت وجود ناحية البيضاء الكبيرة والتاريخية في القرون الماضية.

المصادر والمراجع: ابن الأثير، ال الكامل في التاريخ، بيروت 1405هـ/1985م؛ ابن البلخي، فارس نامه [تاريخ فارس]، ط. غي لسترنج ورينولد آن نيكلسون، لندن 1921هـ/1339م، ط. أوفرست طهران 1363ش [1984م]؛ ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ط. كرامرس، ليدن 1967م/1386هـ؛ ابن خردابه، كتاب المسالك والممالك، ط. دخويه، ليدن 1967م/1386هـ؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ط. دخويه، ليدن 1967م/1405هـ؛ إبراهيم بن محمد الإصطخري، كتاب مسالك الممالك، ط. دخويه، ليدن 1967م/1386هـ؛ إيران، وزارة الدفاع. المديرية الجغرافية للجيش، فرهنگ جغرافیائی آبادیهای کشور جمهوری اسلامی ایران، ج 92: اردكان، ج 103: شيراز

[المعجم الجغرافي لمدن وبلدات الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مجلد 92: أردكان، مجلد 103: شيراز]، طهران 1362ش [1983م]; جديترین نقشه راهها وتقسیمات کشوری جمهوری اسلامی ایران [الخريطة الأكثر جدّة للطرق والتقييمات الإدارية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية]، مشهد: مؤسسة دار نشر ماهوان، 1377ش [1998م]; عباس الجعفري، گیتاشناسی ایران: ج 1: کوهها وکوهنامه ایران [طوبوغرافية إيران، مجلد 1، الجبال الإيرانية وتسمياتها]، طهران 1368ش [1989م]; حمد الله بن أبي بكر حمد الله المستوفي، نزهة القلوب، ط. محمد دبیر سیاقی، طهران 1336ش [1957م]; حسينعلي رزم آرا، فرهنگ جغرافیای ایران (آبادیها)، ج 7: استان هفت
فارس) [معجم إيران الجغرافي (القرى والبلدات)، مجلد 7: الإقليم السابع (فارس)], طهران 1355ش [1976م]; رشید الدين فضل الله، جامع التواریخ, ط. محمد روشن ومصطفى الموسوي، طهران 1373ش [1994م]; أحمد بن أبي الخير زركوب الشيرازي، شيراز نامه [تاريخ شيراز]، ط. بهمن كريمي، طهران 1310ش [1931م]; عبد الكريم بن علي رضا الشهاوري الشيرازي، تاریخ زنده: جانشینان کریم خان زند [تاريخ الزنديّة: خلفاء كريم خان الزنديّ]، ط. أرنست بئير، طهران 1365ش [1986م]; محمد بن جرير الطبرى، تاریخ الطبری: تاریخ الامم والملوک, ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]; محمد نصير بن جعفر فرصت الشيرازي، آثار العجم: در تاریخ و جغرافیای مشروح بلاد و اماکن فارس [آثار العجم: في التاريخ والجغرافيا المفصلين لبلاد فارس وأماكنها], ط. حجرية بمباي 1314هـ، ط. علي الدهباشي، ط. أوفرست طهران 1362ش [1983م]; حسن بن الحسن الفسائي، فارسنامه ناصری, ط. منصور رستغار الفسائي، طهران 1367ش [1988م]; ذكريّا بن محمد القزويني، کتاب آثار بلاد وأخبار العباد, ط. ووستفالد، فيسبادن 1967م؛ مسعود كيهان، جغرافیای مفصل ایران [جغرافية إيران المفصلة], طهران 1310-1311ش [1932-1931م]; محمد بن أحمد المقدسي، کتاب احسن التقاسیم فی معرفة الأقالیم, ط. دخويه، ليدن 1967م؛ تيودور نولدكه، تاریخ ایرانیان و عربها در زمان ساسانیان [تاريخ الإيرانيين والعرب في العصر الساسانيّ]، ترجمه بالفارسية عباس زرياب، طهران [تاريخ المقدمة 1358ش 1979م]]؛ كلمان هوار، ایران و تمدن ایرانی [إيران والحضارة الإيرانية]، ترجمه بالفارسية

حسن أنوشه، طهران 1363ش [1984م]، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. فردیناند ووستنفلد، لاپریغ 1866-1873م/1282-1289هـ، ط. أوفست طهران 1965م/1384هـ.

/بعض ملخصات المراجع